الممارسة الانتروبولوجية في الحضارة العربية الاسلامية : يمكن التمييز بين مرحلتين نظرت فيهما الحضارة العربية الاسلامية الى الاخر:

المرحلة الاولى : تقريبا تمتد من بداية الدعوة الاسلامية (611 م الى القرن التاسع الميلادي) وتميزت بطغيان الانا العربي الاسلامي على الاخر , فالاخر وفق تاويل علماء الدين في تلك الفترة هو الغير المسلم , الكافر , المرتد , انه حتما غير طيب وشرير , وبالتالي فمن واجب المسلم هو " ادخال الاخر في المنظومة" وادماجه ليصبح جزء معترف به سواء بتبني قيم الدين , او بدفع الجزية والحفا ظ على ديانته اذا كانت كتابية , ان النظر الى الاخر في هذه المرحلة اختزل في مبادئ دينية وكفى , كما ان المنظومة الثقافية العربية مارست هيمنتها في تعريفها للاخر وفق استراتيجية تناسب مصالح الفاعلين الاجتماعيين , ان التاويل هنا ساهم في استبعاد عناصر ثقافية مقابل تقريب عناصر اخرى , فلكي تكون" مسلم كامل يفظل ان تكون من نسب قريشي عربي" ان قدسية اقوال وافعال الرسول عليه الصلاة والسلام استغلت لتكريس رؤية اقصائية الى الاخر, ان النظرالى الانسانية نظرة شاملة دون اقصاء وجدت فقط على مستوى النص , الواقع شئ اخر .(1)

المرحلة الثانية : تبتدئ هذه المرحلة مع القرن العاشر الميلادي وميزها بداية" رؤية الاخر كما هو , لا كما يرغب ان يكون" , ان الخروج من سيطرة الانا كان بفضل مجموعة عوامل : الحج (المسافة كانت كبيرة بالانتقال من فضاء جغرافي الى اخر) التجار, طلاب العلم وكذلك الرحالة , وجبت الاشارة انه في البداية نظر للاخر انطلاقا من الاهتمام بفضائه الجغرافي في اطار الفتوحات , ياتي الى الذهن هنا كتاب "المسالك والممالك" لابن خداذبه في القرن التاسع الميلادي , وكذلك كتاب البيروني عن الهند بعنوان (تحرير ماللهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة) والذي نال شهرة واسعة في الدوائر العلمية الاوروبية , وفيه مادة اثنوغرافية قيمة وشيقة حول المؤسسات الاجتماعية للهند , بالاضافة الى اشارات مهمة ومقارنة حول اللغات في الهند ستكون فيما بعد كسند للدراسات الانتروبولوجية المقارنة .كما برز المسعودي بكتابه" مروج الذهب ومعادن الجوهر" والذي دونه حوالي سنة 912 م " وهو عبارة عن اخبار سياحة ومعرفة جغرافية , وعلم وملاحظة ويحتوي الجزء الاول منه بصفة خاصة علىمايمكن ان يشار

اليه بانه له صلة وثيقة خاصة بمسائل انتروبولوجية اساسية ,وذلك لما ورد فيه من وصف للخليقة , وعرضه للاديان والعادات والمذاهب " .

اسم اخر سيكون له شان في الممارسة الاثنوغرافية في العالم العربي الاسلامي انه الرحالة "ابن بطوطة المغربي وتبرز خاصية اعماله في معايشته للناس ووصف لاحوالهم في ادق تفاصيلها سواء لشعوب السودان او لاهل جزر المالديف التي مكث فيها قرابة عام ونصف كما تزوج منهم , ان معرفته بالنفس البشرية وبطبائعها سهلا له عملية الوصف , ان "الاخر" هنا لم يعد ينظر اليه من مركزية اثنية خاصة بقيم دينية (انه الاخر المختلف وكفى) .

سينتظر العالم الاسلامي الى القرن الرابع عشر ليرى بروز عالم عبقري باتم معنى الكلمة , صيته لن يبقى حبيس عالمه بل سيتعدى الحدود انه العلامة ابن خلدون الذي ولد في تونس عاش بها واتجه الى الجزائر , جاور الملوك والسلاطين وكان مستشارا لهم , راى الخدائع والمؤامرات , انزوى في مغارة والف رائعة الروائع (كتاب المقدمة) الذي وضع فيه كل ماجا د به فكره , ان اصالة الفكر الخلدوني لاتكمن فقط في الكم الهائل من المعلومات التي نجدها في كتابه , بل في محاولته الوصول الى قوانين تسير المجتمعات البشرية وحركية التاريخ , ا ن " مبدئي العصبية والايمان بدعوة دينية" استنتجهما من قرائته للتاريخ ولفعل المعايشة في بلاط السلاطين , ان التاريخ حسبه ليس خبطة عشواء انه مبني على قوانين كلما توفرت توصلنا الى نفس النتائج , ان دراساته المقارنة يمكن اعتبارها كبداية للدراسات الانتروبولوجية الحديثة , لكن –وللاسف– ولغياب مؤسسة رمزية وشرعية يستند اليها اي عمل , فقد اعطي الفضل ووجهت الانظار الى اسماء في الغرب الاوروبي لايمكن ان تقارن بعبقرية ابن خلدون , كما ان السياق الفكري العام الذي ظهر فيه والذي تميز بانحدار العالم الاسلامي لم يساعداه على احتلال المكانة التي يستحقها .

الممارسة الانتروبولوجية في عصر النهضة :اختلف المؤرخون الغربيون في تحديد البداية الحقيقية لعصر النهضة , فالبعض يرجعها الى القرن 11 م وربطها بتلك الحركة الفنية التي ظهرت في المدن الايطالية , في حين ذهب البعض الى القرن الرابع عشر ويعتبرها البداية الحقيقية لعصر النهضة , وعلى العموم فان الكل يتفق على دور النهضة في نقل العالم الاوروبي

من مرحلة القرون الوسطى الى العصور الحديثة , ان الخروج من مرجعية الدين كان لها دور في تكسير الحدود ليست فقط الرمزية وانما الواقعية , لقد وضع الانسان ونظر اليه كمركز وستصبح كل المعارف مرتبطة بخدمته .

ان المادة الاتنوغرافية التي بنت عليها الانتروبولوجية فيما بعد موضوعها تعود الى الحروب الصليبية (العالم الصليبي ضد العالم الاسلامي) وكذلك الى الكشوفات الجغرافية خاصة اكتشاف العالم الجديد من طرف كريستوف كولومبس سنة 1492 م مما دفع البعض الى التاريخ للعصور الحديثة بهذا الحدث , ان هذا الاكتشاف ادى الى بروز رؤيتين متناقضتين ومكملتين لبعضهما فيما يخص "الاخر" :

الرؤية الاولى : مرتبطة بتضخم الانا الغربي نتيجة الفروقات المعرفية الفكرية والحياتية بينه وبين الانسان الجديد المكتشف حديثا والموسوم بالبدائي .

الرؤية الثانية : رؤية الاخر على حقيقته وليس كما كان يصور , ان الشعوب الاخرى في المخيلة الاوروبية وقبل الاحتكاك بها كان ينظر اليها على انهم ليسو بشرا وانما ممسوخي الخلقة , ان الصدمة فعلت فعلتها في كولومبس لقد راى الاخر مثله على الاقل في الخلقة , بقت الفروقات في الجانب القيمي وهي التي ستؤدي فيما بعد الى الفكر العنصري المعادي للاخر.